

فوضى الشهور



ملك مصطفى سلمان

في داخل كل إنسان مدينة كاملة من المشاعر ،
شوارعها الذكريات، وبيوتها المواقف،
وأصواتها نبضات قلب لم يجد دائماً من يفهمه.
هذا الكتاب ليس مجرد كلمات،
بل مرآة لما نخفيه خلف ابتساماتنا،
لما نعجز عن قوله،
ولما تبوح به أرواحنا حين نصمت.

فوضى شعور

الفصل الأول: الحنين

الحنين ليس مجرد شعور عابر،
الحنين مدينة كاملة نسكنها حين يغيب من نحب،
حين تبتعد الأماكن، وتبقى التفاصيل معلقة في الذاكرة كأنها حدثت بالأمس.
أحياناً لا نشتاق للأشخاص فقط،
نشتاق لنسخة قديمة من أنفسنا كانت أكثر طمأنينة،
لضحكة خرجت بعفوية،
لرسالة كنا ننتظرها بشغف،
لأيام كانت تمرّ خفيفة دون أن تترك في القلب كل هذا الثقل.
الحنين يزورنا في أكثر الأوقات هدوءاً،
في آخر الليل،
عند سماع أغنية قديمة،
أو عند المرور بمكان كان شاهداً على لحظة لا تنسى.
فجأة، يعود كل شيء:
الصوت، الملامح، وحتى الشعور نفسه.
لكن الحنين ليس دائماً وجعاً،
أحياناً يكون دليلاً على أن شيئاً ما كان جميلاً لدرجة أنه ترك أثراً لا يزول.

هو بقايا حب،
وبقايا أيام،
وبقايا أرواح مرّت من هنا وتركت في القلب جزءًا منها.

الفصل الثاني: الفقد:

وأقسى الفقد، فقدُ من رحل إلى السماء.
ذلك الغياب الذي لا يشبه أي غياب،
لأننا نعرف في داخلنا أنه لن يعود،
وأن الأبواب التي اعتادت حضوره ستبقى مواربة على انتظارٍ لا ينتهي.
نفقد صوته، ملامحه، طريقته في السؤال عنا،
ونفقد شعور الأمان الذي كان يتركه في أرواحنا.
يصبح المكان من بعده أوسع من اللازم،
والبيت أكثر صمًا،
والذكريات أكثر حضورًا من الواقع نفسه.
الموت لا يأخذ الأشخاص فقط،
بل يأخذ جزءًا من أرواحنا معهم،
ويترك في القلب فراغًا لا يملؤه أحد،
إلا الدعاء، والرحمة، واليقين بأن اللقاء في الجنة أجمل.

الفصل الثاني: الفقد

الفقد ليس دائمًا مؤثًا،
أحيانًا يكون انسحاب شعور،
انطفاء شغف،
أو غياب شخص ما زال حيًا لكنه لم يعد كما كان.
هناك أنواع كثيرة من الفقد،
لكن أكثرها قسوة هو فقد من نحبهم إلى الأبد،
حين يأخذهم الموت إلى مكان لا تصل إليه أيدينا،
ولا أصواتنا،
ولا حتى دموعنا.

أقسى ما في فقد الميت أن الحياة تستمر رغم أن شيئاً في داخلنا توقّف.

الناس تكمل أيامها،

الشوارع تبقى مزدحمة،

والشمس تشرق كأن شيئاً لم يحدث،

بينما نحن نشعر أن العالم كله فقد لونه منذ لحظة الرحيل.

نشأتنا لتفاصيل صغيرة جداً،

لصوته وهو ينادينا،

لدعائه،

لضحكته التي كانت تملأ المكان،

لجلسة عابرة لم نكن نعرف أنها ستصبح ذكرى نتمسك بها العمر كله.

أصعب ما في الأمر أننا لا نفقد الشخص مرة واحدة،

بل نفقده في كل موقف يمرّ علينا بعده.

نفقده في الأعياد،

في المناسبات،

في الأخبار التي كنا نريد إخباره بها،

وفي الأيام الصعبة التي كنا نبحث فيها عن حضوره ليطمئننا.

الموت يترك في القلب سؤالاً لا ينتهي:

كيف يمكن لشخص كان يملأ حياتنا أن يصبح ذكرى؟

كيف لصوت اعتدناه أن يتحوّل إلى صدى في الذاكرة؟

وكيف للبيت أن يبقى بيتاً بعد أن يغيب منه أحد أعمدته؟

ومع الوقت، لا يخف الفقد كما يظن البعض،

نحن فقط نتعلّم كيف نحمله بطريقة أخف.

نتعلّم أن نعيش والفراغ في مكانه،

أن نبتسم وفي داخلنا غصّة،

أن نكمل الطريق وفي القلب جزء بقي واقفاً عند آخر وداع.

لكن هناك رحمة خفية في هذا الألم،

أن من نحبه لا يرحلون تماماً،

يبقون في الدعوات،

في الصدقات التي نخرجها عن أرواحهم،

في كل موقف يشبههم،
وفي كل ذكرى تعيدهم للحظة إلى الحياة.
بعض الأشخاص بعد موتهم يصبحون أقرب إلى القلب أكثر من أي وقت مضى،
لأننا نحملهم معنا في كل شيء،
في تفاصيلنا،
في دعائنا قبل النوم،
وفي دموعنا تهرب منا حين يشتد الحنين.
الفقد يعلمنا أن الحب الحقيقي لا ينتهي بالموت،
بل يتحول إلى دعاء،
إلى رحمة،
إلى شوق ساكن في القلب،
وإلى يقين جميل بأن اللقاء في الجنة سيكون أعظم من كل هذا الغياب.
بعض الغياب لا يُعوّض،
لكنه يعلم القلب كيف يحب بصمت،
وكيف يشتاق بالدعاء،
وكيف يؤمن أن الأرواح الطيبة لا تموت، بل تسكننا للأبد.

الفصل الثاني: الفقد

الفقد ليس فقط موت شخص،
الفقد قد يكون غياب شعور،
انتهاء علاقة،
تغير شخص،
أو حتى ضياع حلم كنا نظنه قريباً.
أصعب أنواع الفقد هو ذلك الذي لا نستطيع شرحه.
أن تشعر بأن شيئاً بداخلك لم يعد كما كان،
أن تضحك ولكن بداخل قلبك مساحة فارغة لا يملؤها شيء.
نتعلم مع الفقد أن الحياة لا تعيد لنا كل ما تأخذه،
لكنها تمنحنا القدرة على الاستمرار رغم النقص.
نصبح أقوى،

ليس لأننا أردنا ذلك،
بل لأننا اضطررنا.
الفقد يعلمنا أن بعض الأشياء لا تعود،
لكن أثرها يبقى يرافقنا طويلاً،
كأنها جزء من تكويننا،
من طريقتنا في الحب،
ومن خوفنا من الخسارة مرة أخرى.

الفصل الثالث: الحب

الحب ليس كلمة،
ولا وعدًا يقال في لحظة جميلة،
الحب هو الأمان الذي تشعر به دون طلب،
هو الطمأنينة التي تسكن القلب عندما يذكر اسم شخص معين.
الحب الحقيقي لا يحتاج للكثير من الكلام،
يكفي أن تشعر أن هناك من يفهم صمتك،
من يلاحظ تغَيّر نبرة صوتك،
من يعرف أنك بخير حين تقول "أنا بخير" ولكنك لست كذلك.
هو أن تجد روحًا تشبهك،
تجمع شتاتك،
وتجعل العالم أقل قسوة.
ومع ذلك،
يبقى الحب أجمل شعور وأخطر،
لأنه وحده قادر أن يجعل القلب يزهر،
أو ينكسر.

الفصل الرابع: الخذلان

الخدلان هو الشعور الذي يأتي من المكان الذي ظننته أمانًا.
من شخص منحته الثقة،
ومنحك بالمقابل درسًا لا يُنسى.

هو أن تراهن على بقاء أحدهم،
ثم تكتشف أنك كنت وحدك في الرهان.
الخدلان لا يكسر القلب فقط،
بل يكسر الصورة الجميلة التي رسمناها في داخلنا عن الآخرين.
يجعلنا أكثر حذرًا،
أكثر صمتًا،
وأقل اندفاعًا نحو المشاعر.
لكن رغم قسوته،
يمنحنا الخدلان نضجًا مختلفًا،
يجعلنا نميز بين من يحبنا فعلاً،
ومن كان مجرد عابر طريق.

الفصل الخامس: الوحدة

الوحدة ليست أن تبقى وحدك في غرفة هادئة،
الوحدة الحقيقية أن تكون محاطًا بالكثير من الوجوه،
لكن لا تجد وجهًا يشبه قلبك.
هي ذلك الشعور الخفي الذي يزورنا رغم ازدحام الحياة،
حين نضحك مع الجميع،
لكن شيئًا في الداخل يبقى صامتًا،
كأنه ينتظر شخصًا يفهم ما لا نقوله.
الوحدة مرآة صادقة،
تكشف لنا كل ما نحاول الهروب منه.
فيها نسمع صوت أفكارنا بوضوح،
ونرى وجوهنا الحقيقية بعيدًا عن ضجيج الناس.
أحيانًا تكون الوحدة موجهة،
خصوصًا حين تأتي بعد فقد،
أو بعد خدلان،
أو بعد رحيل شخص كان يملأ فراغ الأيام.
تصبح الأشياء من حولنا عادية جدًا،

لكن بداخلنا فراغ لا يشبهه شيء.

ومع ذلك،

ليست كل وحدة سيئة.

هناك وحدة تشبه السلام،

تشبه العودة إلى الذات،

أن تجلس مع نفسك وتفهمها،

أن تصادق قلبك بعد سنوات من تجاهله.

الوحدة تعلمنا أن وجود الناس ليس دائماً علاجاً،

وأن أقرب طريق للطمأنينة أحياناً يبدأ من الداخل.

الفصل السادس: الأمل

الأمل هو الضوء الذي يظهر في أكثر اللحظات ظلمة.

هو اليد الخفية التي ترفعنا كلما أوشكنا على السقوط.

كم مرة ظننا أن كل شيء انتهى،

ثم فاجأتنا الحياة بباب جديد؟

كم مرة بكينا من شدة الألم،

ثم وجدنا أن ذلك الألم نفسه كان بدايةً لشيء أجمل؟

الأمل ليس تجاهلاً للوجع،

بل إيماناً بأن بعده راحة.

هو أن نثق بأن الله يخبئ لنا ما هو أجمل،

حتى لو بدت الطرق كلها مغلقة.

في كل مرة ننهض فيها بعد انكسار،

في كل مرة نبتسم رغم التعب،

في كل مرة نقول: غداً سيكون أفضل،

نحن نمنح الأمل فرصة جديدة ليزهر في داخلنا.

الأمل يجعل القلب أخف،

والخطوات أكثر ثباتاً،

والروح أكثر قدرة على التحمل.

الفصل السابع: التعافي

التعافي ليس لحظة واحدة،
ولا قرارًا نتخذه فنشفى فورًا.
التعافي رحلة طويلة،
ملبئة بالرجوع،
والتردد،
والانكسار،
ثم النهوض من جديد.
أحيانًا نظن أننا تجاوزنا،
ثم تعيدنا ذكرى صغيرة إلى نقطة البداية.
أغنية،
مكان،
رائحة،
أو كلمة عابرة،
تكفي لتوقظ ما ظنناه نام.
لكن التعافي الحقيقي لا يعني أن ننسى،
بل أن نتذكر دون أن نتألم كما في السابق.
أن نرى الجرح ونعرف أنه كان جزءًا من رحلتنا،
لا نهاية الطريق.
نتعافى حين نغفر لأنفسنا،
حين نتوقف عن لوم قلوبنا لأنها أحبت بصدق،
أو وثقت بعمق،
أو انكسرت من شدة الإخلاق.
كل ألم مررنا به صنع نسخة أقوى منّا،
نسخة تعرف حدودها،
وتعرف قيمة قلبها،
ولا تمنح روحها لأي شيء لا يستحقها.

الفصل الثامن: السلام الداخلي

السلام الداخلي ليس أن تكون الحياة مثالية،
بل أن يصبح قلبك هادئاً رغم كل ما مرّ به.
أن تصل لمرحلة لا تعود فيها تركض خلف ما يؤذيك،
ولا تبرر غياب من اختار الرحيل،
ولا تحمل فوق روحك ما لا طاقة لك به.
السلام هو أن تتقبل أن بعض القصص خلقت لتنتهي،
وأن بعض الناس كانوا مجرد دروس،
وأن بعض الأحلام تأخرت لأنها تستحق وقتها المناسب.
حين نصلح أنفسنا،
يتغيّر كل شيء.
نصبح أخف،
أهدأ،
وأكثر وعياً بما نستحق.
ندرك أن الراحة ليست في تغيّر العالم،
بل في نظرتنا له،
وفي قدرتنا على اختيار ما يليق بقلوبنا.
السلام الحقيقي يبدأ حين نتوقف عن محاربة ما حدث،
ونبدأ باحتضان ما أصبحنا عليه بسببه.

الخاتمة: فوضى الشعور

في النهاية،
كل ما عشناه من حنين،
وفقد،
وحب،
وخذلان،
ووحدة،
وأمل،
لم يكن عبثاً.
كانت كل مشاعرنا تصنعنا بصمت،

تشكل أرواحنا،
وتمنحنا عمقاً لا يراه إلا من مرّ بالعاصفة نفسها.
هذا الكتاب ليس مجرد كلمات،
بل جزء من روحٍ شعرت كثيراً،
وصمتت كثيراً،
ثم قررت أن تبوح.
نحن لا نكتب لأننا نعرف الكلام،
بل لأن هناك شعوراً في الداخل أكبر من أن يبقى صامتاً.

الاسم: ملك مصطفى سلمان